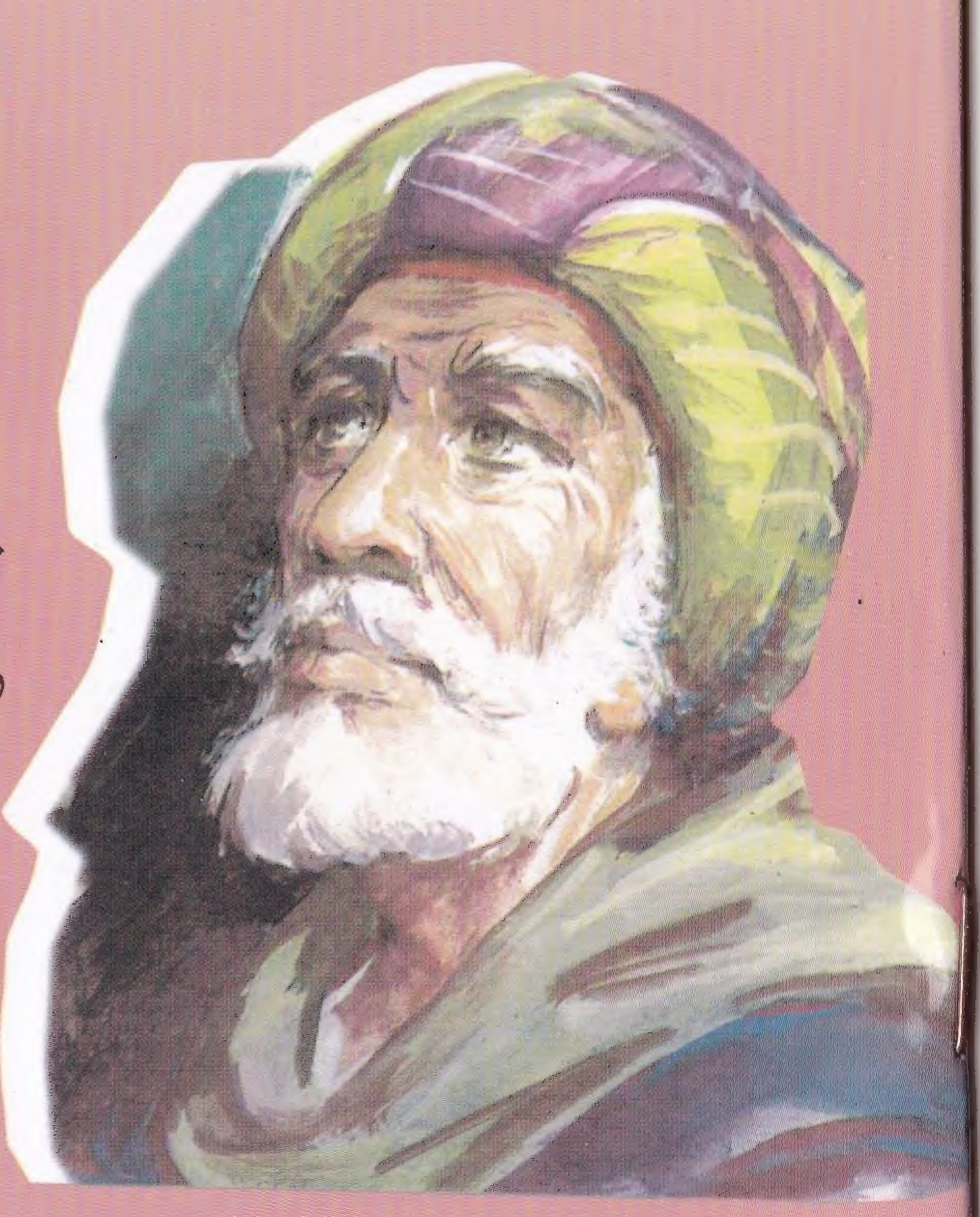
27
علماء العرب

الرازي
رائد المستشفيات الحديثة



تأليف : سليمان فياض
رسوم : اسماعيل دياب

منشورات ANEP

علماء العرب

الـــرّازي

رائد المستشفيات الحديثة

تأليف : سليمان فياض
رسوم : اسماعيل دياب

الكتاب : الرّازي
سلسلة علماء العرب
المؤلف : سليمان فياض
رسوم : اسماعيل دياب
تصميم الغلاف : بديعة ميدات
الناشر : منشورات ANEP

50، شارع خليفة بوخالفة – الجزائر
الهاتف/فاكس : 61 89 23 21 213 / 85 64 23 21 213
الهاتف : 32 68 23 21 213 / 16 89 23 21 213
فاكس : 90 64 23 21 213
e-mail: editionsanep@yahoo.fr

الطبعة الأولى 2007
ISBN : 978-9947-21-337-7
Dépôt légal : 1532-2007



سأكونُ صائغًا

كانَ الجَوُّ لا يَزالُ رَبيعًا، في لَيلةٍ من لَيالي شهرِ مايُو، بمدينةِ الرِّي الفارِسيّة. وكانت أُسرةُ زكريّا الصّائِغ، قَد فرغتْ لتوِّها من تناوُلِ عَشائِها. وراحَ الخدمُ يرفَعونَ الأطباقَ الفارغةَ من فوقِ

الخُوانِ (المائدة)، ويُقدِّمونَ أطباقَ الفالُوذَج (حَلوى مثل الجيلي)، يَضعَونَها أمامَ أفرادِ الأُسرة. وأشارتْ زوجةُ زكريّا للخدمِ، فابتَعَدُوا جانبًا تحتَ أشجارِ حَديقةِ البَيتِ. وكَانتْ ثمَّةَ قناديلُ زيتيّةٌ مُضاءةٌ، تَتَدَلّى حَوْلَ الأُسرَةِ، في خَميلةٍ فوّاحةِ الزُّهورِ، من أغصانِ الأشجارِ. وقالَ زكريّا لابنه محمّدٍ:

- كبِرْتَ يا بُنيّ. صارَ لَك مِن العُمرِ تسعةَ عشرَ عامًا، وقَد حفظتَ القُرآنَ الكَريمَ، وصِرْتَ ماهرًا في الحِسابِ، وآنَ لكَ أنْ تُقرِّرَ لنفسكَ، وتَختارَ طَريقًا لمُستقبلِكَ: أن تَدرُسَ العلمَ لتَصيرَ عالمًا، أو تَأتيَ لتَعمَلَ مَعي كَصائغٍ، يَبيعُ ويَشتَري الذَّهَبَ والفِضّةَ، ويَصْهرُهما، ويصبُّهما أقْراطًا وعُقودًا وخَواتِمَ، وأساوِرَ وخَلاخيلَ.

فابتَسَمَ محمّدٌ، وقالَ لأبيه:

- أحبُّ أنْ أعمَلَ معكَ، وأكونَ صائغًا، وأشتَغِلَ بعملٍ دَقيقٍ، مِثل عملِ النّقشِ والزّخرَفةِ، للذّهَبِ والفِضّةِ، وقَوالبِهما، وأرَى النّاسَ رِجالاً ونساءً، وأتحدَّثَ إليهم، وأسمَعَ أصواتَهم، وأرى مِن مَتجَرِك، طَوالَ النّهارِ، الرّائحينَ والغادينَ في الشّارعِ الكَبيرِ، وأَعِدُكَ أنَّني لَن أشعُرَ بملَلٍ، حاضِرًا كنتَ في المَتجَرِ مَعِي، أَو غائِبًا في البَيتِ، أَو في سَفَرٍ.

وضَحِكَ زكريّا وزَوجَتُه، وقالتْ أُمُّ محمّدٍ لزَوجِها:

- أَتَرَى يا زَكَريّا وَلَدَنا؟ إنّه، علىٰ صِغَرِ سِنِّه، يتحدَّثُ مثلَ الكِبارِ.

فقالَ لَها زكريّا:

- نَعَم. فأفكارُه مُنظّمةٌ، وكأنّهُ فَكَّرَ طَويلاً قبلَ أن يَقولَ لِي رَأيَه.

والتفَتَتْ أمُّ محمّدٍ إلى ولدِها قائلةً:

- اللَّيلةُ بَديعةٌ. والنُّجومُ ساطعةٌ في السَّماءِ. وأحبُّ أن أسمعَك تُغنّي فَصوتُك جَميلٌ.

وأومَأ محمّدٌ برأسِه مُبتَسِمًا وموافقًا، فأشارتْ أمُّ محمّدٍ إلى جاريةٍ واقفةٍ تحتَ شجرةٍ، فتقدَّمَتْ بعودِها، وجلستْ في حلقةِ الجالسينَ معَ أفرادِ الأُسْرةِ. وابتَدأ محمّدٌ في الغِناءِ، وصاحَبَتْهُ الجاريَةُ بالعَزفِ، لأغنيةٍ من أغاني «معبد» (من أشهرِ المغنّين في العصرِ الأمويّ) العربيّة. وسادَ الصّمتُ في الحَديقةِ، وتأرجَحَت القَناديلُ مع النّسيمِ، وأصواتِ الغناءِ، والأوتارِ، وجلسَ الخدمُ بَعيدًا ينصتُونَ إلى غناءِ محمّدٍ، وصوتُه الحُلْوُ يصدَحُ ويعلُو، ويرِقُّ ويَصفُو، ويَمتدُّ ويتموّجُ، حتّى انحدَرَ نازِلاً معَ انحِدارِ

رَنينِ الأوتارِ، فتصايَح مَن بالحَديقةِ إعجابًا، وصفَّقَتِ الأيدي طَرَبًا، وأزالتِ الأكفُّ قطراتٍ من دُموعِ التأثُّرِ بغناءِ محمّدٍ. وقالَ زكريّا لابنِه:

- صوتُكَ بَديعٌ يا بُنَيّ، يُذكّرني بِغِناءِ أعلامِ الغناءِ، من المغنّينَ والمُغنّياتِ في بغدادَ. وأخشى أنْ يأتيَ يومٌ تُفارقُنا فيه، قائِلاً لَنا: سأكونُ مُغنّيًا في بَغدادَ.

فقالَ محمّدٌ لأبيهِ:

- لا أظُنُّ أنّ ذَلكَ سيكونُ يا أبِي، فَفي يومٍ مَا، سَيكونُ لي شارِبٌ ولِحيةٌ، كلُّ غناءٍ يَخرُجُ مِن بينِ شاربٍ ولحيةٍ ، لا يُستملَحُ، ولاَ يُستَظرَفُ.

وانفَجَرتِ الأسرةُ ضاحكةً لقولِه. ونَهَضَ زكريّا قائلاً:

- آنَ لَنا أن نذهبَ جَميعًا إلى النّومِ، فقدِ اقتَربَ مُنتَصَفُ اللّيلِ.

خارجَ السّور

يومُ الجمعة، كانَ هو اليومُ الوَحيدُ، بينَ أيّامِ الأُسبوعِ، الذي يكونُ فيه محمّدُ بنُ زكريّا حُرّا. يَنامُ في صباحِه على حُرِّيّته، فَلَيسَ عليه أنْ يصحُوَ مبكّرًا ليذهبَ إلى المتجَرِ، فلهُ أن

يستَيقظَ معَ الضُّحَى، ويَغتَسِلَ، ويَرتَديَ ثِيابًا بَيضاءَ نَظيفةً، ويضعُ فَوقَها عباءةً منَ الصّوفِ في الشّتاءِ، ومن الكتّانِ في الصّيفِ. ويذهبُ إلى جامعِ مدينةِ الرّيّ الكَبير، ليُصلِّيَ معَ أبيه، وأهلِ الرِّيّ، صلاةَ الجُمُعة، ثُمَّ يعودُ إلى البَيتِ معَ أبيه، ويتناوَلُ غداءَهُ معَ أُسرَتِه، ثُمَّ ينامُ نومةَ القَيلولَةِ (الظُّهر)، ومعَ العصرِ يصحُو، ويتجوَّلُ وَحيدًا، حينَ لا يكونُ الجَوُّ شتوِيًّا، في طُرُقاتِ المَدينةِ وبَساتينِها، إلى أن يجِدَ نفسَه جالسًا في آخرِ بَساتينِ الرِّيّ، وراءَ سورِ المدينةِ الضَّخم، عندَ الحافّةِ التي تلتَقِي عندَها الصّحراءُ بالسُّهولِ الزِّراعيّة. ويُنصِتُ آنذاكَ شارِدًا إلى أنغامٍ تُولَدُ في روحِه، وكأنَّ الكونَ من حَولِه يعزِفُ في داخلِه غناءً خفيًّا، وعيناهُ ترقُبانِ طُيورَ الصّحاري،، تَفِدُ قُبَيلَ الغُروبِ، إلى أعشاشِها في أعالي الأشجارِ، بينَ الخندقِ والسّورِ، المُحيطَيْنِ بمدينةِ الرِّيّ.

وسمِعَ محمّدُ بنُ زكريّا، صوتًا يعرفُه، يقُول لهُ:

- فيمَ تفكّرُ يا صَديقِي الصّغير؟

والتَفتَ محمّدٌ فرأى الصّيدلِيَّ، صَديقَ أبيه، يجلِسُ بجانبِه، فابتَسَمَ لهُ، قائلاً:



٩

- مَرحَبًا بكَ يا عمّاه. كنتُ أُفكّرُ في أمرَينِ: أوّلُهما هو هذهِ المدينةُ، فأنا لا أعرِفُ عنها شَيئًا، معَ أنّني أراها، وأعيشُ فيها.

فَضَحِكَ الصّيدَليّ، وقالَ لمحمّدٍ:

- يُعجِبُني فضولُك للمَعرِفَةِ يا ابنَ زكريّا، سأحدِّثُك عَن مَدينةِ الرّيّ حَديثًا، لَن تسمعَه مِن أحدٍ غيري، فَلا أظنُّ أن أحدًا، مِن أهلِ الرّيّ، يعرفُه سِوايَ. لكن، ما الأمرُ الآخرُ الذي يَشغَلُك؟

فقالَ له محمّدٌ:

- أمرٌ يَسيرٌ، لكنّني حائرٌ فيه، فأبي يقولُ لِي: لا بُدَّ لكَ مِن كُنيَةٍ، تبدأُ بكلمةِ أب، حتّى يُخاطِبَني النّاسُ بِها في المَتجَرِ، ول يتجرّؤا عليّ، ويُخاطِبوني بِاسمِي.

فقالَ لهُ الصّيدَلِيُّ ضاحِكًا:

- الأمرُ يسير. فَلْنَقُلْ مثلاً: أبُو بَكر، وهي كنيةٌ غيرُ شائعةٍ في مدينةِ الرّيّ.

فردَّدَ محمّد كُنيَتَهُ الجَديدةَ عليهِ قائلاً:

- أبُو بكْر. وأبُو بكْر. نعمْ: أبو بكْر. إنَّها كنيةٌ خَفيفةٌ، وظَريفةٌ، وسَريعةُ النُّطقِ.

وضحِكا طَويلاً، سَعيدَيْن.

تاريخ مدينة

في تِلك الجلسة، حدّث الصّيدليّ: أبا بكرٍ محمّدًا ابنَ زكريّا، عَن أسماءِ مدينةِ الرّيّ، في العُصورِ القديمةِ، قبلَ أن يفتحَها العرَبُ، في العامِ الثّامنِ عشرَ الهجريّ، على يد «نعيم بنِ مقرن». كانَ اسمُها: راغا، ثمَّ: ارسَاكيا، ثمَّ: أزاري، ثمَّ رامْ فَيْرُوز، وكانَ اسمُها: الرّيّ، حينَ فتحَها العربُ. وكانتْ آنذاكَ قدْ صارتْ أطلالاً لمَدائنَ عديدةٍ مُتوالية، أنهكَتْها الحُروبُ والغزَواتُ. وقالَ الصّيدَليُّ لأبي بكرٍ:

– قبلَ قرنٍ منَ الزّمانِ. وُلدَ بهذهِ المدينةِ الخليفةُ «هارونُ الرّشيد»، وبعدَ عشرِ سنواتٍ شيَّدَ أبُوه، الخَليفةُ المهديُّ، هذهِ المدينةَ التي نَعيشُ بِهَا الآنَ، بعدَ أنْ أزالَ أطلالَها، وأسمَاها: المحمّديةَ، لكنّ اسمَ الرّيّ لا يزالُ هو اسمَها، الغالبَ عليها بيْنَ النّاسِ.

وأضافَ الصّيدَليُّ قائلاً لأبي بكرٍ:

– والجامعُ الكَبيرُ بمدينةِ الرّيّ، والسّورُ المُحيطُ بها كالدّائرة، وهَذا الخندقُ مِن ورائنا، أمامَ السّورِ، كلُّها أنشأهَا الخليفةُ

المهديُّ، حينَ جعلَ منَ المدينة، مُرتكزًا ينطلِقُ منه، لمقاتلةِ المُتمرّدينَ عَليه مِن دُعاةِ الفِرَقِ الشّيعيّةِ.

وعندَئذٍ كانَتِ الشّمسُ تغربُ عَن يسارِهما في الأفق، فَنَهَضَ الصّيدليُّ قائلاً لأبي بكرٍ:

– هيَّا بِنَا نعبُرُ جسرَ الخندقِ الخشبيّ، وبابَ الشّمالِ في السّورِ، وإلاّ رُفعَ الجسرُ، وأُغلِقَ البابُ، وبِتْنَا لَيلَتَنا هُنَا في العَراءِ، وقَد لا نصبحُ أحياءً، ويقتلُنا قطّاعُ الطّريقِ، في هذه الصّحراءِ.

وقالَ أبُو بَكرٍ لِصديقهِ الصّيدليّ، وهما يعودانِ إلى المَدينة:

– عَفوًا يا سيّدي، فأنا لا أراكَ إلاّ حِينَ نلتَقي مُصادفةً، مثلَ لقائنا اليوم، أو حِينَ تَأتي زائرًا لأبي. وإذا أذنْتَ لِي، زُرتُكَ في بِيمارستانَ (مستشفى) الرّيّ. فأنا شَديدُ الفُضولِ لرُؤيةِ صيدليّتِكَ.

فَضَحِكَ الصّيدليُّ، ووضعَ يَده على كتفِ أبِي بكر، وقالَ لهُ بودٍّ:

– مرحبًا بكَ يا أبَا بكر، في أيَّةِ ليلةٍ، بعدَ أنْ تُغلقَ متجَرَ أبيك، عدَا يومِ الجمعةِ، فهوَ يومُ راحتِي منَ العَمَلِ، وأقضِي معظمَ ساعاتِه معَ أسرَتِي.

أصلُ الدّواء

أغْلَقَ أبُو بكر أبوابَ متجرِ أبيه قُبَيْلَ الغروبِ، وتوجَّهَ من فَورِه إلى بيمارستانَ الرّيّ ليلقَى صَديقَه الصّيْدليَّ الكهلَ. وجدَه أبُو بَكر جالسًا في شرفةِ المعملِ، ينتظرُ تمامَ تفاعُلِ موادِّه الكيماويّةِ معَ السّوائلِ المقطَّرةِ، في زجاجاتِها الملوّنة، المختلفةِ الأشكالِ والأحجامِ والألوانِ.

كانَ كِلاهُما جالسًا ينظرُ إلى داخلِ المعملِ: الصّيْدليُّ يرقبُ قواريرَه وأنابيبَه والسّوائلَ تتفاعَلُ بِها، علَى ذُبالاتٍ (شعل صَغيرة) مِن نارٍ، مثل الشُّموعِ، وأبُو بَكر تَجُولُ عَيناه بينَ الأعشابِ والأحجارِ الطبِّيّةِ، وعُلَبِ المَساحيقِ والمَراهِمِ، وكُومةٍ منَ المعادنِ. وحينَ التقَتْ أعينُهما، قالَ أبُو بَكرٍ:

أسألُ نَفسِي دائمًا يا عمِّي، عَن أصلِ الدّواءِ، وكيفَ بدأ الإنسانُ يعرفُ الدّواءَ في قَديمِ الزَّمانِ؟

فَضَحِكَ الصّيدليُّ وقَالَ:

سؤالٌ عَجيبٌ يا أبا بَكرٍ، لا يسألُه إلاّ فَيلَسوفٌ. لقد عرَفَ الإنسانُ الدّواءَ يا أبا بَكرٍ، مِثلَما يعرفُه الحيوانُ، بالغَريزةِ.

فَعندما يمرَضُ حيوانٌ، فإنّه يتَّجهُ إلى نَباتٍ بعينِه. ليأكُلَ مِن أوراقِه، أَو يَمضَغَ أغصانَه، ورُبَّما مضغَ جُذورَه، ويعْزُفُ عَن نباتاتٍ أُخرَى ولا يأكلُ مِنها. ومثله يفعلُ الإنسانُ. وعرَفَ الإنسانُ الدّواءَ بالخِبرَةِ أيضًا. ومَع تراكُمِ هذهِ الخبراتِ، ازدادَتْ معارِفُ الإنسانِ العاقلِ بالدّواءِ، فكانَ علمُ الدّواءِ علمًا شَفَاهيًا قبلَ عصرِ الكِتابةِ، ثُمَّ عِلمًا مَكتوبًا بعدَ عصرِ الكتابةِ.

وسكتَ الصيدليُّ لحظةً، ثمَّ قالَ:

- سأحكي لكَ قصّةً عجيبةً، يَرويها الإغريقيُّون، ربّما ليجيبُوا لأنفُسِهم عَن سؤالِك، عَن نشأةِ الدّواءِ، وأصلِ الدّواءِ.

نبات الحياة

كانتِ السّماءُ منبسِطةً، في تلكَ اللَّيلة، فوقَ البيمارستانِ، تبدُو مثلَ قُبَّةٍ هائلةٍ، من ظلامٍ مُضيءٍ، تُزَيِّنُه آلافُ النُّجومِ، وكانَ ضوءُ قَمَرٍ لا يُرَى ينشرُ نورَه شَفيفًا حولَ النّجومِ.

وقالَ الصّيْدلِيُّ لأبي بكرٍ:

- في ماضي الزَّمانِ، وسالفِ العصرِ والأوانِ، كانَ هناكَ أميرٌ إغريقيٌّ، يشكُو من ورَمٍ في ذراعِه، يؤلِمُه كثيرًا. وذاتَ صباحٍ، رغِبَ الأميرُ في أن يخرُجَ إلى شاطئِ النّهرِ، فحملَ الخَدَمُ الأميرَ على مَحفَّةٍ إلى الشّاطئِ. وجلسَ الأميرُ عَلى المحفّةِ ينظرُ متأمِّلاً في ماءِ النّهرِ، وكانت أشكالُ الأشجارِ تتَراقَصُ صَفحَتَه، مُضيئةً هنا، ومُعتِمةً هناك. وكانَ بجانبِه نباتٌ راحَتْ أصابعُ الأميرِ تتحسَّسُ نُعومةَ أوراقِه، وأغصانِه. ووضعَ الأميرُ ذِراعَه المتورِّمة على غُصْنٍ من أغصانِ النّباتِ، مُستَريحًا إلى رطوبَتِه، وكانت ذراعُه المتورِّمة عارية. وبعدَ حينٍ شَعَرَ الأميرُ بأنّ ألمَ ذراعِه يخفُّ قَليلاً، معَ مُضيِّ الوقتِ. وظلَّ الأميرُ، طوالَ النّهارِ، جالسًا، تاركًا ذراعَه على غُصنِ النّباتِ وأوراقِه، رافضًا أن يأكُلَ، أو يَشربَ، أو يتحرَّكَ، سَعيدًا بأنّ ألمَ ذراعِه يتخدَّرُ يضعفُ، إلى أنْ غربَتِ الشّمسُ، فأمرَ خدمَه فحملُوه في المحفّةِ عائدينَ به إلى قَصرِه.

وفي الصّباحِ التّالي، عادَ الأميرُ إلى جِلْستِه السّابقةِ على شاطئِ النّهرِ، ووضعَ ذراعَه المتورِّمةَ على أوراقِ هذا النّباتِ وأغصانِه، إلى أن غربتِ الشّمسُ.



وبعدَ عشرةِ أيّامٍ، بالتّمامِ والكَمالِ، فوجئَ الأميرُ بأنّ ورمَ ذراعِه لَم يَعُدْ لهُ وُجودٌ، وأن ألَمَه قَد انتَهى إلى غيرِ عودَةٍ. وصاحَ أبُو بكرٍ قائلاً بدهشةٍ:

- عجيبٌ. جَديرٌ بهذَا النّباتِ أن يُسمّى: نباتُ الحياةِ.

فضحِكَ الصّيدَليُّ، وقالَ:

- أطلقَ الإغريقُ، فعلاً، يا أبا بَكر، عَلى هذَا النّباتِ اسمَ: نباتُ الحياةِ.

وأضَافَ الصّيدَلِيُّ قائلاً:

- ومن هذَا النّباتِ وسِواه يا أبا بَكر، بدأتْ قصّةُ الدّواءِ لعلاجِ المرضَى، بالنّباتاتِ، وذرّاتِ الأحجارِ، والمعادنِ، وأجزاءٍ بعينِها من الحيواناتِ، بفضلِ التّجربةِ، والمُلاحظةِ، والمُصادفةِ.

ونَهضَ الصّيدليُّ، ليرَى محاليلَ معملِه. وأخرجَ بعضَ زُجاجاتِها من أوعيةِ المياهِ، وأطفأَ تحتَ بعضِها الآخر شموعَ النّارِ الصّغيرةِ، ورآه أبُو بكرٍ يعودُ إليه في الشُّرفةِ، حاملاً معه عوداً. وجلسَ الصّيدليّ، وهو يقُول:

- ما رَأيُك في أن نغنِّيَ أُغنيةً. أنتَ تُغَنِّي، وأنا أعزِفُ لَكَ، ثمَّ نعودُ إلى بيوتِنا؟

سحر الموسيقى

فوجئَ أبُو بَكر وهو يغنِّي، والصّيدليُّ يعزفُ على العودِ، بمرضَى البيمارستانِ يُطِلُّونَ مِن نوافذِ غرفِهِ؛ وبمرضَى آخرينَ يُغادرونَ غرفَهم وأسرَّتَهم، وينتشرُون في حديقةِ البيمارستانِ الدّاخليّةِ، أسفلَ الشُّرفةِ، ويجلسونَ على الحَشائشِ الخَضراءِ، تُحيطُ بهم زُهورٌ لا يُرَى لهَا في الضّوءِ القمريِّ لونٌ واضحٌ، وكانَ القمرُ قَد أقبلَ، وتوسَّطَ سماءَ الحَديقةِ. ورأى أبُو بكرٍ المَرضَى وهُمْ يستَمِعُونَ في صَمتٍ سعيدٍ إلى الغِناءِ، والعَزفِ، وقَد نسَوْا ما بهِم من أمراضٍ، وأوجاعٍ، وآلامٍ.

وحِين انتَهى العزفُ والغناءُ، قال الصّيدلِيُّ لأبِي بكرٍ:

- انظُر يا أبا بكرٍ إلى هؤُلاءِ المرضَى. لقد وجدُوا في الموسيقَى أيضًا علاجًا لأمراضِهم، وكأنّ الموسيقى والغناءَ يُريحانِ النّفْسَ، ويُعينانِ عَلى شفاءِ الجَسَدِ، وشفاءِ النّفسِ أيضًا.

عندئذٍ قالَ أبُو بكرٍ بدهشةٍ:

- ألاَ يَعتبرُ أطباءُ البيمارستانِ أنّ الموسيقَى والغِناءِ، وسيلةً من وسائلِ العِلاجِ؟



فَقال لهُ الصَّيدلِيُّ:

- لاَ. حتّى الآن: لاَ.

فقالَ لهُ أبُو بكرٍ بِحماسٍ:

ما رأيُكَ إذن، في أن تَعزِفَ أنتَ وأغَنّي أنا، لمرضَى البيمارستان، كلّ ليلةٍ، فهُمْ مُتعَبُون وبحاجةٍ إلينا.

وامتدّت يدُ الصّيدليٍّ إلى يَدِ أبِي بَكرٍ تُصافحُه، وهو يقُول:

- مرحَبًا بكَ يا أبَا بَكرٍ فِي كلِّ لَيلةٍ.

سأكونُ طبيبًا

اعتادَ أبُو بَكرٍ والصّيدلِيّ، عَلى اللّقاءِ في كلِّ مساءٍ، وسَطَ الحَديقةِ، هذا يغنّي، وذلكَ يصاحبُه بأنغامِ العودِ، وقَد أحاطَ بهِما مرضَى البيمارستان، بلْ والأطبّاءُ المناوِبون في البيمارستانِ، بَل وصارَ الصّديقانِ يجلِسانِ في حَديقةِ البيمارستانِ عصرَ كلّ يومِ جمُعةٍ، حتّى لا يُحرَمَ المَرضَى مِن الموسيقَى والغناءِ في يومٍ مِنَ الأيّامِ، وتشجّعَ المرضَى فصارُوا يشاركُون أبَا بكرٍ في غنائِه، بينَ الحينِ والحينِ.

وذاتَ مساءٍ، كانَ أبُو بكرٍ يُغنّي، في يومِ جُمعة، إلى أنْ غربتِ الشّمسُ. وحينَ انفضَّ المرضَى والأطبّاءُ منَ الحَديقةِ، عائدينَ إلى غرفِ البيمارستانِ وقاعاتِه، قالَ الصّيدليُّ لأبِي بَكرٍ:

- مَا الذي يُقلِقُكَ اليومَ يا أبا بكر؟ رأيْتُ قَلَقَكَ وأحسَسْتُ بِه، وأنا أسمعُ تَرَدُّدَ نبراتِ صوتِك في الغِناءِ، وكأنَّ عينيْكَ ستبكيانِ، وكأنّ قلبَك مَليءٌ بالأحزانِ.

فقالَ لهُ أبُو بَكرٍ وهو يتنهَّدُ:

- أشعرُ، يا صَديقي، أن اللّهَ لَم يخْلُقْني لأكونَ صائغًا، ولا حتّى مغنّيًا، وصرتُ أكرَهُ الذَّهابَ إلى متجرِ أبِي في الصَّباحِ، وأشعرُ، وأنَا أغنّي أن الغناءَ لا يَرُوقُ لِي ويحلُو ويَطيبُ، إلاّ حينَ أكونُ وَحيدًا. وبتُّ لا أحبُّ أن يَراني النّاسُ أغنّي، وقد بلغتُ العشرينَ من عمري، وصارَ لِي شاربٌ ولِحيَة.

وضحِكَ الصّيدليُّ مِمّا قالَه أبُو بكرٍ، وسألَه:

- ما الذي تحبُّه إذنْ يا أبَا بكر؟ إذا أحبَبْتَ شيئًا، أو عملاً، أو علمًا أو أحدًا، فلا تتخلَّ عَنه، وعِشْ لِما تحبّ، تعِشْ سَعيدًا رَاضِيَ النّفسِ، أيًّا كانَ حظُّكَ معَه من الدُّنيا.

فقالَ أبُو بكرٍ، وهو ينظرُ حولَه إلى البُستانِ: الجدرانُ، والنّوافذُ، والطّوابقُ الثّلاثةُ، والأشجارُ المتسلّقة:

- لقد أحبَبْتُ هذا البيمارِستانَ، وأحببتُك، وأحببتُ المرضَى، وأحببتُ الأطبّاءَ، وأحببتُ معملَك، روائحَ العَقاقيرِ، وشعرْت بالغيْرةِ منَ الأطبّاءِ، وأنا أراهُمْ يُعالِجونَ المرضَى، وصرتُ أتمنّى، وأنَا في العشرينَ، تصوّرْ، أن أدرسَ علمَ الطّب، وأن أكونَ طَبيبًا، وكمياويًا، ولا أغنّي إذا غنيتُ إلا لِمرضَايَ.

حينَ انتهَى أبُو بَكرٍ من اعترافِه لصديقِه الصّيدليّ، كانَت ثمّةَ دموعٌ صغيرة، تتحَدرُ من عينِي الصّيدليّ، على خدّيْهِ. وقالَ الصّيدلِيُّ هامسًا لأبِي بَكرٍ:

- جذبَتك إذنْ إليها أنّاتُ المرضَى، مثلِي، ومثل كلِّ الأطبّاءِ هُنا، في هَذا البيمارستانِ.

فصاحَ به أبُو بكرٍ قائلاً:

- نعم. نعم يا صَديقي. هذا هو ما أشعرُ بِه، وكَم أتمنّى أن أكونَ قادرًا على أن أوقِفَ أنينَ المَرضَى، وأُعيدَ إليهم العافيَةَ، فتحمرَّ وجوهُهم المصفرّةُ، وتمتَلِئَ أجسادُهُم الذّابِلةُ.

فقدْ يجدُ الشّفاءُ على يديْه، وكانت مدينةُ الرّيّ آنذَاكَ تابعةً لمملكةِ هذا الأميرِ السّامانيّ.

لَنْ أَعبُرَ النَّهرَ

وأرسلَ الأميرُ أمرَه معَ رجالِه إلى والِي الرِّيِّ، ليرسلَ معهُم إليه بالرّازيّ الطّبيب. فاستعدَّ الرّازيُّ لسفرٍ طَويلٍ، معَ رجالِ الأميرِ السّاماني. وركِبَ الرّازيّ جوادًا مِنْ جيادِ الأميرِ، وأحاطَ بهِ الفُرسانُ في طريقِهم إلى مدينةِ بُخَارَى، وسارَ موكبُ الرّازي، عابرًا الصّحراءَ، والسُّهولَ، والهِضابَ، والجبالَ، إلى أن وصلَ إلى شاطئِ نهرِ «أوكسِس». وكانَ على الرّازيّ أن يركَبَ قاربًا معَ الفرسانِ لعبورِ النّهرِ، لكنَّ الرّازيّ حينَ رأى اتّساعَ النّهرِ، وتدفُّقَ مائِه السّريعِ، المنحدرِ معَ الثُّلوجِ الذّائبةِ في قِمَمِ الجِبالِ، وتموُّجِ المياهِ واصطِخابِها، إبَى أنْ يركبَ القاربَ، وأن يعبُرَ النّهرَ، قائلاً للفُرسانِ:

- لاَ. أنا أخافُ الغرَقَ، ولَنْ أعبُرَ النّهرَ في أيِّ قارِبٍ. فهُناكَ احتِمالٌ أنْ أغرقَ في مياهِ هذَا النّهرِ العميقِ، أنَا وأنتُم. وقد يَحتلُ

ألاَّ نغرَقَ، لكنّ الأخذَ بالأحوَطِ أولَى بِي. وقَد علَّمَنِي الطِّبُّ أنْ آخُذَ بالأحْوَطِ في العِلاجِ، وعليَّ أن آخُذَ بهذا الأحوطِ في السَّفَرِ، وفي حياتِي كُلِّها.

وضحِكَ الفُرسانُ على الرازي، وهو يقولُ لهُم:

- اذهَبُوا أنتُم وغامِرُوا، معَ هؤلاءِ المُسافِرين، وأولئك الصّيّادينَ الذينَ يعبُرون النّهرَ من حَولنا، اعبُروا النّهرَ، أو اغرقُوا فيه، فأنَا لَن أعبُرَ هذا النّهرَ، ولا أيَّ نهرٍ آخرَ مُطلَقًا.

وعبثًا راحَ الفرسانُ يحاولُونَ إقناعَ الرازِي، فباتُوا معَه في خيامٍ أقامُوها قُربَ شاطئِ النّهرِ، على أمَلِ أن يغيِّرَ الرازيُّ رأيَه، ويُقَوِّي قلبَه، ويتوكَّلَ على اللّهِ، ويعبُرَ معهُم النّهرَ في الصَّباحِ.

ولم يخطُرْ لأحدِهم، على بالٍ، أنَّ الرازيّ سوفَ يغافِلُهم، في ظلامِ اللّيلِ، وهُمْ نيام، يركَب فرسَه، ويعودَ به وَحيدًا إلى الرِّيِّ، وبيمارستان الرِّيِّ، قائلاً لنفسِه: «حياتِي أهمُّ مِن شفاءِ الأميرِ، وعملِي كطبيبٍ أكثرُ قيمةً ألفَ مرّة من حياةِ أميرٍ، وإنقاذِي لمئاتِ المرضَى مِنَ المرضِ والموتِ خيرٌ ألفَ مرّة مِن إنقاذِ مريضٍ واحِدٍ، حتّى ولو كانَ أميرًا».

- نَرجُو أن تَعفُوَ عنّا لقَسْوَتِنا مَعك، فأميرُنا مُقْعَدٌ من مرضِه، وهو بحاجةٍ إلَيك. وكانَ علينا أن نَعودَ بِكَ، أو أن نُقتَلَ لعدَمِ تَنفيذِنا لأمرِه.

ونظرَ الرازِيّ برهبةٍ وراءَه إلى النّهرِ، وهو لا يصدّق أنّه قد عبرَه، وقالَ للفُرسانِ:

- عَجيبٌ. لَقد عبرتُ النّهرَ بالفعلِ في قاربٍ.

والتَفَتَ الرّازِيّ قائلاً للفُرسانِ:

اطمئِنوا، فأنا لا أحملُ لَكم كراهيةً في نَفسِي.

وضحِكَ الرّازِيّ وقالَ:

إنّني أعرِفُ أنّ آلافًا مِنَ النّاسِ يعبُرون نهرَ أوكسِس، في أمانٍ، في كلِّ عامٍ، ولكنْ: لو أنّني غرِقْتُ لقالَ النّاسُ: كمْ كانَ محمّد بن زكريا أحمقَ الفكرِ، وهو يعرّض نفسَه، مُختارًا، لخطرِ الغرَقِ، ولكنْ لأنّكُمْ عبرتُم بِي النَّهرَ عنْوَةً، فسيشعُرُ النّاسُ نحوي بالعَطفِ، لو أنّني هلكتُ غرقًا في النّهرِ، بدلاً من إلقاءِ اللّومِ علَيَّ.

وطلبَ الرازِيّ طعامًا وشرابًا، فقدّم له الفُرسانُ ولخادِمه الطّعامَ والشّرابَ، ثمَّ واصلُوا السَّيرَ بهِما إلى قصرِ الأميرِ السَّاماني، في مدينةِ بُخارَى.

طَريقَة جَديدة

استقبلَ الأميرُ الرازِيَّ خيرَ استِقبالٍ، وهو جالسٌ على مَقعَدٍ لا يُبارِحُه. ورآه الرازِيّ والخدمُ يتحرَّكُونَ بِه، في أرجاءِ القَصرِ هُنَا وهُناك، إلى مائِدةِ الطّعامِ، وإلى غرفةِ نومِه، وإلى شُرُفاتِ القصرِ، وإلى البُستانِ، وإلى الاجتِماعِ معَ الوزراءِ والعلماءِ. وأحسَّ به الرازِيُّ يكتمُ آلامَه، ولا يبُوحُ بها، ولا يتأوّهُ منْها، صابرًا على ما هُوَ فيه، ولكنَّهُ رأى هذَا الألَمَ في غُضونِ وجهِه الذي فقَدَ القدرةَ علَى الابتِسامِ، وفي بريقِ عينَيْهِ، ورثَى الرازيّ لحالِ الأميرِ، وقرّر أن يظلَّ بجانبِه، يعالجُه، إلى أنْ يشفَى من مرضِه، في أقصَرِ وقتٍ ممكنٍ، كي يعودَ مسرعًا إلى الرّيِّ، وبيمارستانِ الرّيِّ، ومرضَاه.

وراحَ الرازِيّ يُجرِّبُ طرقًا عَديدةً لعلاجِ الأميرِ، بتنظيمِ الغذاءِ، وبالأدوِيَةِ النّباتيةِ والمعدنيّةِ، طوالَ شهورٍ، لكنّ علاجًا واحدًا من علاجاتِه لم ينجحْ معَه.

وخلاَ الرازِيّ بخادِمه قائلاً لهُ:

وضحِكَ الرازِيّ قائلاً:

– اصرُخْ كَمَا تَشاء، ولنْ يطولَ صُراخُك، فلنْ يسمَعك أحدٌ، لأنّني صرَفتُ الحراسَ، ولَن يعودُوا قبلَ الغُروب. ولسوفَ أذبحُك الآنَ، بهذا السِّكّينِ، في ذلِك الحَوض.

وعندَئذٍ، اندَفَعَ الأميرُ محاولاً الدّفاعَ عَن حياتِه، فراحَ ينثُر ماءَ الحَوضِ السّاخِنِ بكفّيْه في وجهِ الرازِيّ، والرازِيُّ بيْن تقدُّمٍ نحوَه، وتَراجُعٍ عَنه. واندَفَعَ الأميرُ مرّةً أخرى، فهبَّ واقفًا في الحَوْضِ، وقد سيطرَ عليه الغضبُ والخوفُ معًا، ثمَّ تقدّمَ صاعِدًا درجَ الحَوضِ في عزْمٍ، وقَد قرَّرَ أن يَقتُلَ الرازِيَّ بيديْه، برغمِ السّكّينِ فِي يدِه.

وحينَ رَأى الرازِيّ الأميرَ، وقَد صارَ خارجَ الحَوضِ، واقفًا على قدَميْه، سارعَ بالفِرارِ منَ الحمامِ، وجرَى يعدُو في الحَديقةِ، حتّى وصلَ إلى الجوادَيْنِ والخادمِ. وصاحَ الرازِيّ قائلاً لخادِمِه، وهوَ يقفزُ فوقَ الحصانِ الأسْود:

– اسرِعِ واركبْ حِصانَك، فسنهرَب بسرعةٍ من بُخارَى.

وانطلقَ الجوادانِ بالرازيّ وخادِم، حتّى بلغَا نهرَ أوكسس، فركِبَ الرازي مختارًا، لأوّلِ مرّةٍ، قاربًا، عبرَ بهِ النّهرَ، معَ



وفكَّرَ الأميرُ أنَّ الرازيّ لَن يعودَ إليْه، بعدَ ما كانَ معَه. فاتَّخذَ قرارًا بمكافأةِ الرازيّ مكافأةً لا تُنسى: أعادَ إليهِ خادمَهُ معَ الجوادَيْن، وأجرَى عليهِ راتبًا سنويًا يصلُ إليهِ مدّةَ حياته، أيْنَما كانَ: ألفانِ منَ الدّنانيرِ الذّهبيّةِ، ومائتا حِملٍ مِن قَمحِ بُخارَى، تحمِلُها إليه في كلّ عامٍ، بغالُ بخارَى.

واستقرَّ الرازيّ، في الرِّيّ، وببيمارستانِ الريّ، وقَد طبقتْ شهرتُه الآفاقَ.

الرّحيل عَن الرِّيّ

ذاتَ صباحٍ، سألَ المعتضدُ باللّه، الخَليفةُ العباسيّ، طَبيبَه الخاصَّ أنْ يُسمّيَ لهُ مائةَ طبيبٍ، فعدَّهُمْ الطَّبيبُ لهُ واحدًا واحدًا. وكانَ من بينِهم الرازيّ، فطلبَ منهُ الخليفةُ أن يختارَ منهمْ عشرةً، فكانَ الرازيّ واحدًا من هؤلاءِ العشرةِ. وعادَ الخليفةُ يطلبُ مِن طبيبِه الخاصّ أن يختارَ لهُ مِن بينِ العشرةِ ثلاثةً، فذكرَ الطَّبيبُ للخليفة أسماءَ هؤلاءِ الثلاثةِ، وكانَ الرازيّ واحدًا من هؤُلاءِ الثلاثةِ، فقالَ الخليفةُ لطبيبِه:

- فاختَرْ لنَا واحدًا من هؤلاءِ الثّلاثةِ، يُجْمِعُ الأطبّاءُ في العالَمِ الإسلاميّ على أنّه أفضلُ الأطبّاءِ، في زَمانِنا، علمًا وعِلاجًا، ويشهَدُونَ بأنَّهُ أقواهُم عَقلاً، وأحسَنُهم خُلُقًا، وأكثَرُهم أمانةً.

فقالَ الطَّبيبُ الخاصُّ للخليفةِ المعتضدِ باللّهِ، وكأنّه يتحدّثُ عَن شَمسٍ ساطِعَةِ الضَّوءِ:

- ومَن سِوَى الرازِيّ يا مَولاي. وهو الآنَ مديرُ بيمارِستانِ الرِّيّ؟

وفوجِئَ الرازِيّ، وهُوَ في بيمارستانِ الرِّيّ، برسولٍ قادمٍ إليْه من الخليفةِ المعتضِدِ باللّه، وبصحبتِه والِي الرّيّ، يدعُوه للقاءِ أميرِ المُؤمنين في بغدادَ، كَيْ ينشِئَ لبغدادَ بيمارستَان مثلَ بيمارِستانِ الرِّيّ، وأعظمَ منه.

وبقدرِ سعادةِ الرازيّ للقيامِ بهذهِ المهمّةِ الجليلةِ، بقدرِ ما كانَ قلقه على مَصيرِ بيمارستانِ الرِّيِّ من بَعدِه، الذي أحبَّه، وأحبَّ مَرضاه، حبَّه لأهْلِ الرِّيِّ، وأسف لأنّ صَديقَه وراعيه الصّيْدليَّ، كَبيرَ العَشّابين، قَد انتقَلَ إلى رحمةِ اللّه، ولَو كانَ حيّا لتَرَكَ لَهُ مطمئنًا ببيمارِستانِ الرِّيِّ.

وفكَّرَ الرازيُّ وقدَّرَ، ثم سارعَ بدعوةِ أطباءِ البيمارستانِ للاجتماعِ معَه، كَي يختارُوا كَبيرًا للبيمارستانِ مِن بينِهِم بالاقتراعِ. ووقَعَ اخيارُ الأطبّاءِ علَى تلميذٍ للرازيِّ كانَ نابغةً في الجِراحةِ، وعندئذٍ قرّت عينُ الرازيِّ لحسنِ الاختيارِ، دونَ صراعٍ أو نزاعٍ بينَ الأطبّاءِ، ودونَ تدخُّلٍ مِن والِي الرِّيِّ، أو الأميرِ السَّاسانيِ، لتعيينِ مديرٍ لبيمارستانِ الرِّيِّ، واطمأنَّ على مصيرِ البيمارستانِ.

وتركَ الرازيّ بيتَه الخاصّ الفَسيحَ في رعايةِ خادمِه، ورفيقِ عمرِه الذي رَعاه، وتحرّك ذاتَ صباحٍ، مُودِّعًا مِن والِي الرِّيِّ، وأعيانِ الرِّيِّ، وأهلِ الرِّيِّ، ومَرضَى البيمارستانِ الذين راحُوا يبكُونَ في لحظةِ الوداعِ. وكانَ يُحيطُ بجَوادِه، في الطّريقِ إلى بغدادَ، مِن أمامٍ ومِن خَلفٍ، طابورٌ طويلٌ مِنَ الجيادِ والفُرسانِ.

قِطعة لَحم

كَانت بلادُ فارسَ الغربيّة لا تَزالُ تابعةً للخلافةِ العبّاسيّةِ، عَلى حينَ استقلّتْ دُوَلُ الأطرافِ عَن هذهِ الخلافةِ، وظلّت تبعيتُها لَها تبعيّةً اسميّةً يُدعَى فيها للخلافةِ، ويُستَأذَنُ الخليفةُ، عِندَ تولي أميرٍ جَديدٍ لَها، أو ملِكٍ، أو سُلطانٍ

وَكانَ الرازيُّ قَد شارَفَ الأربَعينَ مِن عمرِه، حينَ جلَس إلى الخَليفةِ العبّاسيِّ في إيوانِ الخِلافةِ، بقصرِ الخِلافةِ في بغدادَ. وقالَ لهُ الخليفةُ بوُضوحٍ واختِصارٍ:

- أُريدُ يا أبا بكرٍ بيمارستانَ في بغدادَ، لا نَظيرَ لهُ بينَ كلِّ بيمارستاناتِ مَدائنِ الإسلامِ، بيمارستانَ كَبيرًا تضمُّ أجنحَتُه كلَّ فُروعِ الطِّبِّ، تجمَعُ لهُ أكبَرَ الأطبّاءِ في زَمانِنا، ويكونُ مدرسةً للأطبّاءِ مثلَ بيمارستاناتِ الرِّيِّ والقاهرةِ ودمشقَ، بَل وأعظمَ مِنها، وسوفَ نبذُلُ لتحقيقِ هذهِ الغايةِ كلَّ ما تَحتاجُه منَ المالِ، ونكلِّفُ بالتّشييدِ كلَّ المهندسينَ العِظامِ، والعمّالِ المهَرةِ. واختَرْ بنفسِكَ يا أبا بَكرٍ الموقعَ المُناسِبَ لهذا البيمارستانِ، في بغدادَ.

وبَاتَ الرازيُّ ليلتَه أرِقًا في بيتِ الضِّيافةِ، يفكِّرُ في أصلَحِ موقعٍ لتشييدِ بيمارستانٍ جميلاً فَخمًا، بيمارستانَ نَظيفًا، حسَنَ الإضاءةِ في اللَّيلِ والنّهارِ، حتّى وَمَضَت في رأسِه فكرةٌ نَيّرة، ساطعةُ الضّوءِ، كشمْسِ النّهارِ.

ذهبَ الرازيّ إلى قصَّابٍ (جزّار) في الصّباحِ، واشترَى منه قطعةَ لَحمٍ كبيرةٍ، قسَّمَها إلى عشرةِ أجزاءٍ، وكلَّف عشرةً مِن





رجالِ الخليفةِ، بوضعِ كل قطعةٍ منها في رأسِ عَصا طويلة، وزرْعها في عشرةِ مواقعَ، حدّدها لهُمْ علَى خريطةٍ، حولَ بَغدادَ.

وعصْرَ كلّ يومٍ كانَ الرازِيّ يمرُّ بنفسه على هذهِ المَواقعِ، ويفحَصُ ما أصابَ قِطَعَ اللّحمِ مِن تَحلُّلٍ، ويُبْس، وعَفَن، معَ تغيُّرِ درجاتِ الحَرارةِ في اللّيلِ والنّهارِ.

وفي اليومِ الرّابعِ، وعندَ رأسِ جسرِ نهرِ دجْلة، في الجانبِ الشّرْقيِّ مِن النّهرِ، وجدَ الرازيُّ أنّ قطعةَ اللّحمِ على العصا، تجفُّ ببطءٍ، دونَ تحلُّلٍ، أو يُبْسٍ، أو عَفَنٍ، وعندَ ذلكَ صاحَ بفَرحٍ:

- هنا سيكونُ بيمارستانُ بغدادَ بمشيئةِ اللّه.

أول مُستشفى حَديث

وجاءَ بناءُ بيمارستان بغدادَ، بفضلِ الرازِيّ والمهندسينَ، أعظمَ بيمارستانَ كما أرادَ لهُ الخليفةُ أن يكونَ. كانَ بيمارستانَ تسهلُ فيه الحركةُ والانتقالُ للمرضَى وللأطبّاءِ، والزّائرينَ، يناظرُ أحدثَ المستشفياتِ في عَصرنا الحديث، فيه أسِرّةٌ للمرضى، وأجنحةٌ خاصّةٌ لكلّ من المرضَى الرِّجالِ، أو النّساءِ، أو الأطفالِ، أو المُسنّينَ، أو مَرضَى النّفسِ أو العَقلِ، وبه أقسامٌ مستقلّةٌ لشتّى الأمراضِ: المُعديةِ، وغيرِ المُعديةِ، والباطنَةِ، والجراحةِ، والعُيونِ، وبه مدخَلٌ لاستقبالِ المرضَى، لعلاجِ أمراضِهم الهيِّنةِ علاجًا سَريعًا، وإعطائِهم ما يلزمُهم من دواءٍ، أو لتوزيعِهم حسب نوعِهم ونوْعِ مرضِهم على أجنِحَةِ البيمارستانِ وأقسامِه.

وفي هذَا البيمارستانِ: كانَ معملٌ للعشّابينَ (الصّيادلة) لا نَظيرَ لهُ من قبلِ في بيمارستاناتِ الدُّنيا، ملحقٌ بهِ مخازنُ للأعشابِ، والمعادنِ، والأحجارِ، التي تستخرَجُ منها الأدويةُ والعقاقيرُ المفردةُ والمركَّبَة، وكانَتْ بهِ صيدليّةٌ يلبّي منها الصّيادلةُ طلباتِ الأطبّاءِ منَ الدّواءِ في الحالِ، وبأسرَعِ طَريقٍ. وكَانَت بهِ مكتبةٌ علميّةٌ للقارئينَ، ومكتبةٌ خاصّةٌ للأطبّاءِ ودارسي الطّبّ، عامرةٌ بالمراجعِ الطّبّيّة، وكانتْ بهِ أكثرُ من حديقةٍ بينَ أجنحةِ البيمارستانِ، وبهِ قاعةٌ للموسيقَى، خَصّص لها الرازيّ ساعاتِ استماعٍ للعازِفين والعازِفات، ويتردَّدُ صدَى موسيقَاها في أجنحةِ البيمارستانِ، وفوقَ مياهِ نهرِ دجلة.

وتكفَّلَ بيتُ مالِ الخلافةِ بكلِّ النّفقاتِ التي تلزَمُ لرعايةِ المرضَى على الدَّوامِ، في كلِّ عَامٍ، وبينَها كانتْ نفقاتٌ عَجيبَةٌ، لثيابٍ نَظيفةٍ لكلِّ مريضٍ بالبيمارستانِ، تتغيَّرُ كلّ يومٍ بانتظامٍ، يجري تعقيمُها بغليها، ولأطعمةِ المرضَى وأشربَتِهم وأدويتِهم، بل وللإنفاقِ على أهلِ كلِّ مريضٍ فقيرٍ عائلٍ لأسرة، منَ الفلاّحينَ والحرفيِّينَ، مدَّةَ بقائه في البيمارستانِ، ولمعاونته عَلى الحياةِ بعدَ خروجِه من البيمارستانِ، إلى أن يجتازَ فترةَ النّقاهَةِ، وإلى أنْ يعودَ لمزاولةِ عَملِه، في بغدادَ، أو خارجَ بغدادَ.

أخْلاق الطّبيب

واعتادَ الرازيّ أن يجتمعَ معَ مساعديه منَ الأطبّاءِ، وتلاميذِ البيمارستانِ من دارسي الطّب، في حَلقاتٍ، اجتماعاتٍ علميّةٍ عندَ العَصرِ، واجتماعاتٍ علاجيّةٍ في الصّباحِ، للتّشاوُرِ في الحالاتِ المرضيّةِ، وتشخيصِها، وعِلاجِها علاجًا صَحيحًا. يسألُ الرازيّ التّلاميذَ أوّلاً، وحينَ يعجزُونَ، يسألُ المُساعدِينَ، وحينَ يعجزُونَ، يتولّى هو، بنفسِه، تَشخيصَ المرضِ، وتَحديدَ مظاهرِه وأعراضِه، وطُرُقَ علاجِه.

وفي حلقاتِ الدّرسِ، والفحْصِ، عَلى السّواءِ. علَّمَ الرازيّ الأطبّاءَ، ودارسي الطّبِّ المبتدئين:

كيفَ يحترمُونَ قسَم أبقراط الطّبيب الإغريقيّ، وما الذي ينبغي أنْ تكونَ عليه أخلاقُ الطّبيب، في حياته الخاصّةِ والعامّةِ، وأثناءَ ممارسته لمهنته، وكيفَ يكونُ سلوكُه كَطبيبٍ، معَ مرضَاه منَ الفُقراءِ، والأغنياءِ.

قَال الرّازيّ فيما قالَه للأطبّاءِ، ودارسي الطّبِّ، بَل وللمَرضى، وقد سجّل الرازيّ ما قالَه في كِتابِه: «أخلاق الطّبيب».

– إنّ الأمراضَ الوراثية تنتقلُ منَ الآباءِ إلى الأبناءِ، وإنّ الحُمّى تُعالَجُ باستِخدامِ الماءِ البارِدِ، والمُسكّنات، وإنّ من الضّروريِّ للطَّبيبِ أنْ يناقِشَ المَريضَ عَن أحوالِ معيشَتِه، وتفاصيلِ مرضِه، ويعرِفَ أعراضَ هذا المرضِ وأسبابِه، ومواقيتَ هذهِ الأعراضِ، حتّى يُحسِنَ تَشخيصَ المرضِ وعلاجِه. وإنّ عَلى الطّبيبِ أن يصُونَ نفسَه عنِ الاشتِغالِ باللّهوِ والطّربِ، وأن يُواظِبَ على تصفُّحِ الكتُبِ الطّبّيّة، طلبًا للمزيدِ منَ المعرفة، تذكُّرًا لما يُنسَى من العلمِ، وإنّ عَلى الطّبيبِ أن يُنوّعَ ثقافَتَه في شتّى العلُومِ، ويوظِّفَها في خدْمةِ طبِّه. وإنَّ على الطّبيبِ أن يعلَمَ أنّ عِلَلَ الأمراضِ ثلاثة: علّةٌ مَحتُومةُ البَرءِ، مثلُ: الصُّداعِ وضربةِ الشّمسِ، وعلّةٌ جائزةُ البرءِ، مثل: الحميات، إذا عولجتْ بما يجبُ أن تعالجَ به، وبكيفيّةِ هذا العلاجِ، وعلّةٌ مستحيلةُ البرءِ، مثل أمراضِ: الجذامُ، والبرصُ، والأورامُ الخبيثةُ.

وعلى الطّبيبِ أن يحذِّرَ النّاسَ الأصحّاءَ والمرضَى، من أدعياءِ الطّبِّ، منَ الدّجّالينَ والمشعوذِينَ، حتّى لو تستّروا بالزُّهدِ والتّقْوَى، فهُمْ أشرُّ منَ اللُّصوصِ وقُطّاعِ الطّريقِ، فهؤُلاءِ يذهَبُونَ بالمالِ، وأولئكَ يقضُونَ على أرواحِ النّاسِ.

وعلى الطّبيبِ ألاّ يلجَأَ إلى تخمينِ الكُهّانِ، في تَحديدِ مرضِ المريضِ وعلاجِه، فعليْه أن يتَتَبَّعَ، بطريقةٍ علميّة، أعراضَ المرضِ في الجسدِ والعينِ، والبَوْلِ والنّبضِ والتّنفُّسِ، وأمورٍ أخرى لا يعرِفُها سوَى الطّبيب، ولا خبرةَ بها لكاهنٍ أو عرّافٍ أوْ مُنَجِّمٍ.

رفقًا بالمرضى

وقال الرازيّ للأطبّاءِ، ودارسِي الطّبِّ، موصيًا إياهم بمرضَاهم:

– على الطّبيبِ أن يكونَ رفيقًا بمرضاه، حافظًا لأسرارِهم في حياتِهم وأعراضِهم، التي قَد يطّلِعُ عليها في هذياناتِ أمراضِهم، واعترافاتِهم، كحِرْصِ آبائِهم وأمّهاتِهم على هذهِ الأسرارِ، ولا يُفشيها لأيِّ أحدٍ، حتّى كانَ هؤلاءِ المرضَى من الخدمِ والرّقيقِ والجَواري.

وعلَى الطّبيبِ أن يحدّدَ لمريضِه نظامَ غذائِه وشرابِه، وما يجبُ أن يمتنِعَ عنه منَ الأطعمةِ، وما يجبُ ألاّ يجمعَ بينَه من ألوانِ الطّعامِ، وأن يكونَ هذا المنبَعُ، بالتّدريجِ، بتحذيرِهم منَ

الإكثارِ، فَالمَنعُ التّامُّ لما يشتهونَه يجعلُهم يأكلُون كَثيرًا ممّا يُمنَعونَ عنْهُ، ولربّما لجأُوا إلى الكذبِ، وخداعِ الطّبيبِ.

احذرُوا الغُرور

وقالَ الرازيّ للأطبّاءِ، ودارِسي الطِّبّ، معلِّمًا إيّاهم رُوحَ المِهنة، وأساسَها:

– على الطّبيبِ أن يعتمدَ على اللّهِ في مُعالجَته لمرضاه، ولا يحسبَ قوّةَ عمله وعلمه في شفاءِ المَريضِ، إلاّ بتوفيقٍ منَ اللّهِ، وإلاّ حرمَه اللّهُ هذهِ القوّةَ، فوقعَ مِن عُجْبِه بنفسِه، (فخره) في أخطاءِ العِلاجِ.

وعَلى الطّبيبِ أن يمنعَ نفسَه منَ العُجْبِ بمهارتِه، إذا أبرأَ مَريضًا شَديدَ المرضِ مِن مرضِه، فالعُجْبُ يقودُ إلى الغُرورِ، والغرورُ يقودُ إلى ثقةٍ مفرطةٍ، تقودُ بدورِها إلى إهمالِ الدّقّةِ في التّشخيصِ والعِلاجِ.

وعلى الطّبيبِ ألاّ يكونَ كَثيرَ الكَلامِ في مَجالسِه في علْمِ الطّبِّ، إلاّ إذا سُئِلَ مِن مَريضٍ أو صَديقٍ أو نَديمٍ.

وعلى الطّبيبِ أن يعرفَ الحالةَ السّويّةَ لمريضِه قبلَ مرضِه، فمَن لَم يعرفْ، مثلاً كيفَ نبضُ المَريضِ، ودرجةُ حرارَته الطّبيعيّةِ، وشَهيقُه وزفيرُه في تنفُّسِه، لَم يستَطِعْ أن يحكُمَ عليه وقتَ علَّتِه.

أوّل موسوعة طبّيّة

في النّصفِ الثّاني منَ القرنِ التّاسعِ الميلاديّ، والثُّلثِ الأوّلِ من القرنِ العاشرِ الميلاديّ، وفي العصْرِ العبّاسيّ الثّاني، عاشَ أبو بَكرٍ الرازيّ حياةً امتدّتْ تسعةً وسبعينَ عامًا، وكانَ عصرُه زاخرًا بالعباقرةِ، في مدائنِ الثّقافةِ الإسلاميّةِ، من وسطِ آسيَا إلى الأندلُسِ، وخلالَ عمرِ الرازيّ توالَتْ كتُبُه ورسائلُه في الجُغرافيّةِ، وعلومِ المعادنِ، والنّباتِ، والبَصريّاتِ، وكانتْ أعظَمُ مؤلّفاتِه في علومِ الطّبِّ والكيمياءِ.

ومرِضَ الرازيّ في عينيْه بالمياهِ الزّرقاءِ، وعمرُه خمسةٌ وسبعُونَ عامًا، وضَعُفَ بصرُه، وأبَى أن يُزيلَ أحدٌ منَ الأطبّاءِ هذهِ المياه عَن عينيْه، خوفًا منَ العمَى. وتقدّمَ بطلبٍ إلى الخَليفةِ القاهرِ باللّه، رابعَ الخلفاءِ العبّاسيّين، الذينَ عاشَ الرازيّ في كنفهِم (رعايتهم)، طالبًا

إعفاءَه من منصبه في البيمارستان، والرّحيلِ عَن بغدادَ إلى الرِّيِّ، ليُقيمَ بها، بينَ أهلِه، ما بَقِيَ لهُ مِنَ العُمْرِ.

وأذنَ الخليفةُ للرازيِّ في الدُّخولِ إليْه، ورآه الخليفةُ وهو يتقدَّمُ نحوَه، وكانَ يراهُ لأوّلِ مرّةٍ، رآهُ رجُلاً كبيرَ الرّأسِ، مَهيبَ الطّلعةِ. وقدَّمَ إليه الرازيُّ كتابَه الموسوعيَّ: «الحاوي في الطّبّ»، وراحَ الخليفةُ يتصفّحُ فهارسَ مُجلّداتِه الثّلاثةِ والعشرينَ، وقالَ للرازيِّ بدهشةٍ:

– كتابُك هذا موسوعةٌ حاويةٌ بالفعلِ لكلِّ فنونِ الطّبِّ، عَن: أمراضِ الرّأسِ العضويّةِ والنّفسيّةِ، وأمراضِ العينِ والأنفِ والأذنِ والحنجُرةِ، وأمراضِ الرّئةِ والمريءِ والمعدةِ والأمعاءِ، وأمراضِ الكلَى والمثانةِ والبواسيرِ، وأمراضِ القلبِ والكبِدِ والطّحالِ، وأمراضِ النّساءِ والوِلادةِ والثّدْيِ، وأمراضِ الحُمَّياتِ والجدريِّ والحصْبةِ والبَوْلِ وديدانِ البطْنِ، وعَن: الأورامِ والدّماملِ والرُّضوضِ وكسورِ العظامِ، وعَن الأدويةِ المفردةِ والمركّبةِ لكلِّ هذهِ الأمراضِ. لكنّه كتابٌ ضخمٌ جدّاً يا أبَا بكرٍ، فلمن كتبتَه يا طَبيبَ الزّمانِ؟ وكَم عددًا من السّنينَ أنفقتَها في كتابتِه؟

فقالَ لَهُ الرازيّ:

– يا مولاَي. جمعتُ مادّةَ هذا الكتابِ في خمسةَ عشرَ عامًا من كتبِ الأقدمينَ علَيَّ، والمعاصرينَ لِي، وضمَمْتُ إليها ملاحظاتِي الطّبّيّةِ الخاصّة، ونسبتُ كلَّ ما أخذتُه إلى مَن أخذتُ عَنه، وما أضفتُه نَسبتُه إلى نَفسِي. وهو كتابٌ للأطبّاءِ، وليسَ للعامّةِ، فهو أشبَهُ بالمؤشّراتِ العمليّةِ للأطبّاءِ خاصّةً، في حفظِ الصّحّةِ وتشخيصِ الأمراضِ والعِلَلِ ومداواتِها، وهو أسلوبٌ جَديد على الأطبّاءِ إلى زَمانِنا.

فقالَ لَه الخليفةُ باهتِمامٍ:

– حَدّثْني إذَنْ عَن إنجازاتِكَ في الطّبِّ والعِلاجِ، التي تفخرُ بِها بينَ الأطبّاءِ.

وراحَ الرازِيّ يتحدّثُ لأوّلِ مرّةٍ عَن إنجازاتِه في الطّبِّ والكيمياءِ بذهنٍ حاضرٍ، وكلامٍ واضحٍ، وعَن أوائلِه التي ابتَكَرَها لأوّلِ مرّةٍ، ولا تنسى في تاريخِ الطّبِّ، وسوفَ يظَلُّ أطبّاءُ أوروبا يعملُونَ بِها طوالَ سبعمائة عامٍ.

أوائلُ الرّازِيّ

كانَ الرازِيّ هو أوّلُ مَن استخدمَ الموسيقَى لعلاجِ بعضِ الأمراضِ، وأوّلُ من قالَ بأنّ الأمراضَ الوراثيّةَ تنتقلُ منَ الآباءِ إلى الأبناءِ، وأوّلُ من عالجَ الحمّى باستخدامِ الماءِ البارد، وأوّلُ من ابتكرَ في العلاجِ ما يُسمّى بالتّجرُبةِ الضّابطةِ، بتجريبِ العلاجِ على نصفِ المرضَى، وترْكِ النّصفِ الآخرِ دونَ علاجٍ، لمعرفةِ أثَرِ العلاجِ على مَن تناولُوهُ، وسيرِ المرضْ معَ منْ لَم يتناولُوه. وأوّلُ من ابتكرَ ما يُسمّى بالطّبِّ النّفسيّ في العلاجِ، فمِزاجُ الجسمِ تابعٌ لمزاجِ النّفسِ. وأوّلُ من استعملَ خيوطًا لخياطةِ الجراحاتِ من أمعاءِ الحيوانِ، لأنّها تتآكَلُ معَ تمامِ الشّفاءِ. وأوّلُ من كتبَ مقالاتٍ خاصّةً في طبِّ الأطفالِ. وأوّلُ من اكتشفَ أثرَ الضّوءِ علَى حَدَقَةِ العينِ، فتتسعَ ليلاً، وتنكمشَ نهارًا. وأوّلُ من عرفَ أثَرَ الحساسيَةِ في إحداثِ بعضِ الأمراضِ، خاصّةً في فصلِ الرّبيعِ عندَ شَمِّ الوردِ مثلاً، أو الغبارِ. وأوّلُ مَن ميَّزَ بينَ الجُدريّ والحَصْبَةِ، بتشخيصٍ تفريقيّ في الأعراضِ، وأوّلُ مَن عالَجَ بعضَ الأمراضِ بالأغذيةِ دونَ الأدْوِيَةِ، وأوّلُ مَن حضّرَ الجِبْسَ واستَخدَمَه في تَجبيرِ العِظامِ بعدَ مزْجِه

بالبَيْضِ، وأوّلُ مَن كتبَ كتابًا عَن البيمارستاناتِ وصفتِها وعملِها، وعَن الإسعافاتِ الأوّليّةِ لمنْ لَمْ يحضرْهُ الطّبيب. وأوّلُ مَن استخدمَ الفحمَ الحيوانيَّ في إزالةِ الألوانِ والرّوائحِ عَن الموادِّ العضويّةِ. وأوّلُ من حضّرَ حامِضَ الكبريتيكَ، وأوّلُ مَن مَيَّزَ بينَ الصُّودا والبوتَاس علَى تشابُهِهِما في الخَواصّ.

حَفل وداع

في بيمارستانِ بغداد، أقيمَ حفلُ وداعٍ مشهورٍ للرازِيّ، حَضَرَه الخليفةُ، ووزراءُ التّفويضِ والتّنفيذِ، والأُمَراءُ والأعيانُ، والتُّجّارُ والعلماءُ. وفي ختامِ الحَفلِ، راحَ الرازِيّ يُوصِي زملاءَه الأطبّاءَ، وتلاميذَه. وصيّةً دمعَتْ لها العُيونُ، قال في خِتامِها: «لَقد تركتُ لكُم كتابًا عَن «مِحنة (اختِبار وامتِحان) الطّبيب»، وهو كتابٌ خاصٌّ بالأسئلةِ اللائقةِ والمهمّة، التي يجبُ على الأطبّاءِ أن يوجّهوها، وهم يخْتبِرُونَ الأطبّاءَ الجُدُدَ، وهُوَ الكتابُ العربيُّ الثّانِي في هذَا الموضوع بعدَ كتابِ الطّبيبِ ابن ماسَوَيْه، وبعد كتاب جالينوس الإغريقيّ. وقد أضفتُ إليهِما خبرتِي في امتِحانِ مَن يُريدُ أن يكونَ طَبيبًا، فَلا تَمنَحُوا إجازَةَ

الطّبِّ لِمَن ليسَ لَه أهلاً، علمًا وعقْلاً، فحياةُ النّاسِ أغلَى مِن كلِّ مَجدٍ أو مالٍ».

وغادَرالرازيّ مَدينةَ بغداد، إلى مدينة الرَّيّ، ليعيشَ بينَ أهلِه، في بيتِه القَديم، ومشَى في صُحبَتِه كلّ مَن اشتَرَكَ في تَكريمِه إلى خارجِ بغداد، ثمَّ أحاطَ بهِ الفُرسانُ بقيّةَ الطّريقِ، يتبَعُهم موكبُ الخُيولِ والبِغالِ المُحمّلةِ بالهدايَا من أهلِ بغدادَ.

●

وبعدَ سبعةِ أعوامٍ مِن وَفاةِ الرازيّ، كانَ ابنُ العميدِ أميرًا عَلى الرِّيِّ للبويهيين، فزارَ أختَ الرازيّ، واشتَرى منها كتابَ «الحاوِي» بخطِّ الرازيّ، وكانَ في ثلاثةٍ وعشرينَ جزءًا، واشتَرَى مَعَه بقيّةَ كتبِ الرازيّ، وبينَها، في غيرِ علمِ الطّبِّ، كانَتْ كتبُ الرازيّ الأُخرى: كتابُ الحيَل، وكتابٌ في الحركة، وكتابُ الكواكبِ السِّتّة. وكتابٌ في كيفيّةِ الإبصارِ، ورسائلُ في: قُطْرُ المُربّعِ، وحَجَرُ المغناطيس، وحسابُ الكثَافاتِ النّوعيّة للسّوائلِ، ومعَه رسمٌ تَوضيحيٌّ لجهازٍ تُحسَبُ به هذه الكثافات، سمّاهُ الرازيّ: الميزانُ الطّبيعيّ. وفي الطّبِّ، كانتْ كتُبه ورسائلُه: الطّبُّ المَنصوريّ وهو أوّلُ كتابٍ في علمِ التّشريحِ، والكافِي، وبرءُ ساعة، والطبُّ

الملوكي، والجدري، والحصلة، ومنافعُ الأغذيَة ومضارُّها، والأسرارُ في الكيمياءِ، وسرُّ الأسرارِ، واستِخدامُ الأجهزةِ ووصفُها، ومن لا يحضرُه الطّبيبُ، وهو في الإسعافاتِ الأوّليّة، ثُمَّ رِسالةٌ في الحَصَى المتولّدةِ في الكلَى والمثانة.

●

في القرونِ التّالية، تُرجِمَت، وحققت، كتبُ الرازيّ ورسائله الطّبّيّة والكيماويّة وسواها، إلى اللُّغتَيْن العبريّة، واللاّتينيّة، ثمَّ إلى أكثَرِ اللُّغاتِ الأوربيّة، واشترَك في هذهِ التّرجمةِ وذلِكَ التّحقيق عددٌ كبيرٌ منَ المُستَشرقينَ، بينهم: ليكلر، وجانييه، وانطونيا، ويوليوس، وكوننج، ودي خويه، وكراوس، وماكس مايرهوف، وروسكا، وكريموف، وجايج، وشاننج، وفاندايك. ودُرِسَت كتُبه الطّبّيّة والكيماويّة في جامِعاتِ الغَربِ إلى القَرنِ السابعِ عشر الميلاديّ.

ويَرى الزّائر لمكتبةِ كليّةِ الطّبِّ بجامعة باريس صورةً تَذكاريّةً للرازيّ، بجانِبِها صورة لابن سينا، ولا يزالُ هناكَ إلى اليَوم جناحٌ تَذْكاريّ يحمِلُ اسمَ الرازيّ، بجامعةِ «برنستون» بالولاياتِ المتّحدة الأمريكيّة، فهو واحدٌ من أعاظمِ رجالِ الكيمياءِ والطّبِّ

إبّانَ القرونِ الوُسطَى، وكانَ يلقَّبُ في زَمانه وبعدَ زمانه بلقب: جالينوس العرب، وقيلَ في وصفِ دورِه كطَبيبٍ: «كانَ الطّبُّ مَعدومًا فأحياهُ جالينوس اليونانيّ، وكانَ متفرِّقًا فجمعَه الرازِيّ، وكان ناقصًا فكمّله ابنُ سينا».

●

في الشّرقِ، وفي الغَربِ، لا تخلُو موسوعةٌ طبّيّةٌ، أو عامّة من ذكرٍ للرازِيّ: حياتُه وطبُّه ودورُه في الطّبِّ، ولا يخلُو كتابٌ في تاريخِ العلمِ عبْرَ العُصورِ والحضاراتِ منَ الإشادَةِ بالرازِيّ.

وفي الغَربِ، ظلّ كتبُ الرازِيّ، وخاصّةً كتابيْه: الحاوِي، والمنصورِيّ، هُما الحجّةُ في الطّبِّ، إلى نهايةِ القرنِ السّابعِ عشر الميلاديّ، وعدّ الغربيّون الرازيّ المؤسّسَ الحقيقيّ للكيمياءِ الحديثةِ، بكتابةِ: سرُّ الأسرارِ، ولا تزالُ رسالةُ الرازِيّ عَن الجدَري والحصبَة، تحتَلُّ مكانةً هامّةً وعاليةً، في تاريخِ علمِ الأبئةِ، كأوّلِ مقالةٍ علميّةٍ دقيقةٍ عَن الجدريّ والحصْبَةِ، عرَفها العالم، ولا تزالُ رسالتُه عَن حصَى الكلَى والمثانةِ أوّلَ وأهمَّ رسالةٍ كتبتْ في هذا الموضوعِ، في

العصورِ الوسْطى. ومثلُها رسائلُه الطبّيّةُ الأخرى عَن مُدَّعِي الطّبِّ مِنَ الدّجّالينَ والمُشَعوذينَ، وعَن النَّقْرَسِ والروماتزمِ والمغصِ القولونِيّ وسِواها.

●

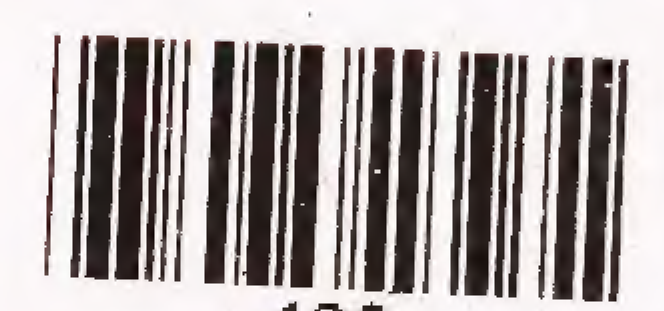
في مدينةِ الرِّيّ، توفِّيَ الرازِيّ، عامَ تسعمائةٍ واثنينِ وثلاثينَ ميلاديّة عَن عمرٍ بلغَ تسعةً وسبعينَ عامًا، تاركًا وراءَه، للحضارةِ العربيّةِ الإسلاميّةِ، قمّةً بلغتْها مِن قِمَمِ العلمِ في العُصورِ الوُسْطَى، وتاركًا وراءَه، للبشريّةِ بأسرِها، تُراثًا غنيًا من كتُبِ الطّبِّ والكيمياءِ، ومثلاً أعلَى لكلِّ طَبيبٍ في الدُّنيا، يُريدُ أن يتبحَّرَ في علْمِ الطّبِّ، وأن يؤلِّفَ فيه، وأن يكونَ في الوقتِ نَفسِه طَبيبًا مُداويًا يُشارُ إليهِ بالبَنانِ، في حَياتِه وبعدَ مماتِه، ولسوفَ تحتَفِلُ البشريّةُ بذكرَى ميلادِ الرازِيّ، الذّكرى المائتين بعدَ الألف، عامَ ألفين وأربعة وخَمسين ميلاديّة، كَطبيبٍ عالمٍ مِن عباقرةِ العالَمِ الخالدينَ، يُعَدُّ بحقٍّ الأبَ الأوّلَ للطّبِّ العربيِّ، والأبُ الثّاني للطّبِّ العالميّ البَشَرِيّ، بعدَ الطّبيبِ الإغريقيّ جَالينوس.

الرازي

الرازي طبيب مسلم عاش منذ ألف عام. كان عازفا على العود ومغنيا وصائغا، ونبغ في الطب والكيمياء، ولقب بجالينوس العرب. ألف كتبا في الطب والتشريح والكيمياء، وابتكر أجهزة مخبرية وكانت له أوائله في الطب والكيمياء، واستخدم الموسيقى في العلاج وأنشأ أول مستشفى حديث، ووضع دستوراً لأخلاق الطبيب. وترجمت كتبه إلى أكثر لغات أوربا. إنها قصة تثير الفخار، يقرؤها الصغار والكبار.

صدر من هذه السلسلة:

1- إبن النفيس
2- إبن الهيثم
3- البيروني
4- جابر بن حيان
5- إبن البيطار
6- إبن بطوطة
7- إبن سينا
8- الفارابي
9- الخوارزمي
10- الإدريسي
11- الدميري
12- إبن رشد
13- إبن ماجد
14- القزويني
15- إبن يونس
16- الخازن
17- الجاحظ
18- إبن خلدون
19- الزهراوي
20- الأنطاكي
21- إبن العوام
22- الطوسي
23- الكاشي
24- الوزان
25- إبن الرزاز
26- تقي الدين
27- الرازي
28- الكندي
29- الخليل
30- إبن حمزة
31- الزرنوجي
32- يوحنا بن ماسوية
33- ياقوت الحموي
34- ثابت بن قرة
35- ابن ملكا
36- ابن الشاطر



ISBN: 978-9947-21-337-7
Dépôt légal: 1532-2007